**شبكات التواصل الاجتماعي التكيفية**

**بقلم/ تامر الملاح**

ظهرت شبكة التواصل الإجتماعى كأحد تقنيات وأدوات الجيل الثاني للويب والتي بدأت تتطور بشكل كبير منذ عام 2000 إلى وقتنا هذا، حتى أصبحت ثورة تكنولوجية في حد ذاتها، حيث استخدمت منذ بدايتها لأجل الاتصال والتواصل مع الأخرين من مختلف الأماكن عبر شبكة الإنترنت عن طريق إنشاء صفحات شخصية للمنضمين إليها تعرض للعامة من خلال نظام وسياسة معينة والتي من خلالها يستطيع الشخص أن يتصل مع معارفه والمنضمين إلى صفحته الشخصية وذوي نفس الإهتمامات الخاصة به.

وبعد فترات قليلة من ظهورها أصبح رواد تلك الشبكات الإجتماعية يتشاركون الأراء والأفكار ويعرضون المحتويات المعرفية والعلمية من خلال صفحاتهم عليها، وبدأ التفاعل من قبل الأخرين مع تلك المحتويات المعروضة من قبل الأشخاص الذين لهم نفس الاتجاهات والميول، وسرعان ما تحول الأمر إلى الرأي والرأي الآخر وأصبحت ساحة كبيرة للنقاش حول مختلف المستجدات على الساحة العامة.

فبدأت الشبكات تطور من نفسها من حيث المحتوى، ولم تقتصر مهمتها على مجرد التواصل مع الأخرين فقط، بل أصبحت تسمح بإمكانية إضافة المحتوى بمختلف أشكاله وصورة من نصوص وصور وفيديو وصوت ورسوم وصور متحركة، مما جعل فئات عريضة من المجتمع تنجذب إليها لما توفره من قدرات وإمكانيات تساعد على توفير جو عائلي وتواصلي عبر الشبكة يجد فيه كل شخص ما يناسب إهتماماته.

* **طبيعة شبكات التواصل الإجتماعي.**

اجهت الأنظار نحو تلك الشبكات بشكل غير متوقع منذ البداية، فبدأت تتنوع تلك الشبكات الإجتماعية من حيث الإختصاصات والإهتمامات ونوعية المحتوى المعروض عليها، فظهرت شبكات التواصل المصورة، والفيديوية، والتواصلية والشبكات المهنية، فبدأ الأفراد في تبادل الصور وإضافة التدوينات التي تعبر عن حالاتهم، والتواصل مع الأقران وإنشاء المجموعات لأصحاب الإهتمامات المشتركة، مما جعل استخدامات تلك الشبكات تتعدد في مناحي كثيرة فظهرت استخداماتها الاتصالية الشخصية والإخبارية والدعوية والحكومية، وسرعان ما بدأ الإهتمام باستخدامها في الجوانب التعليمية، ومما ساعد على ذلك هو كونها أداة تدريسية سهلة الاستخدام ولديها القدرة على أن تصل للجميع في وقت قياسي.

* **مميزات شبكات التواصل الإجتماعي التعليمية.**

أجريت الأبحاث العلمية والتكنولوجية حول فاعلية تلك الشبكات الإجتماعية في العملية التعليمية، وما مدى التأثير والإضافة التي من الممكن أن تسهم بها في تطوير عملية نقل المعلومات من المصدر إلى المستخدم، وهل تتسم بالتفاعلية والمشاركة، فظهر من خلال تلك الأبحاث تتعدد **ميزات تلك الشبكات التعليمية** والتي من بينها الأتي:

* أنها تساعد في تنمية القدرات والمهارات التكنولوجية لدى المتعلمين.
* أنها تمكن الجميع من إمكانية عرض الرأي والرأي الأخر وتنوع الأفكار والأراء لزيادة الوعي.
* تقدم محتوى متنوع، باستخدام وسائط متعددة وفائقة.
* سهولة التواصل بين المعلم والمتعلم وتبادل الملفات والمعلومات.
* تيسير عملية الإرشاد والتوجيه على المعلم لسهولة تحقيق ذلك من خلالها.
* ساهمت في تغيير دور المتعلم لمشارك وفعال في العملية التعليمية.
* أنها لا تحتاج إلى مهارات عالية لأجل التعامل معها، بل قليل من القدرات يجعلك قادر على التعامل معها.
* أثبتت البحوث العلمية أنها فعالة جداً في الحصول على تغذية راجعة من خلالها.
* أيضاً ساهمت في لا مركزية المكان والوقت في التعليم فكل متعلم أصبح يتعلم في المكان الذي يناسبه والوقت المتاح له.
* لا تحتاج إلى تكاليف، وتعمل على تنمية العمل الجماعي والتعاوني.
* أصبحت أهم مقومات دعم فكرة التعلم النشط.
* أنها قريبة من حياة جميع الطلاب.
* **شبكات التواصل الإجتماعي التكيفية.**

تنوعت ميزات تلك الشبكات وأضافت إلى إمكانياتها الكثير والكثير عندما تم استخدامها في العملية التعليمية، وبعد التطور في الأونة الأخيرة؛ أصبح لكل شبكة دور خاص بها سواء في المجال العام أو المجال التعليمي، وتغير دور المتعلم والمعلم عندما يتم استخدام تلك الشبكات في التعليم، إلا أنه برغم مميزاتها لها سلبيات كثيرة نعلمها جميعاً، ولكنها لم تمنع استخدامها في التعليم على الإطلاق.

وكما ذكرنا أن التكيف لا يقتصر على مجرد توافق عرض المحتوى مع نمط وأسلوب المتعلم، وأنه يتضمن أيضاً البيئة الفيزيقية والمصادر المتاحة يجب أن تكون جميعها في وضع يسمح بكون التعلم يصبح تعلم تكيفي من جميع الجهات، ومن هنا تتضح العلاقة بين شبكات التواصل الإجتماعي والتعلم التكيفي، حيث أن كل متعلم يختار الشبكة التي تعبر عن إهتماماته، وتناسب نمطه وأسلوبه، وترضي رغباته الإلكترونية والتواصلية، لذا تجد من المتعلمين من يفضلون شبكة "فيس بوك" وأخرون يفضلون "تويتر" وأخرون يفضلون "انستجرام" ولكل شبكة ميزات وخصائص تختلف عن غيرها من الشبكات الأخري.

فشبكات تهتم بالمحتوى النصي اللفظي مثل: "فيسبوك وتويتر" وأخرى تقدم محتوى تفاعلي حركي وصوتي مثل: "يوتيوب"، وثالثة تقدم محتوى مصور مثل: "إنستجرام وفليكر"، ورابعة تقدم محتوى تواصلي فقط مثل: "سكاي بى، وفايبر، والواتس اب"، وعلى الجانب الأخر تجد منها الشبكات الشخصية أو المهنية أو الخاصة بفئات محددة أو وظيفة محددة مثل: "لينكدان كشبكة للتوظيف، وجودريدز كشبكة للكتب"، اختلافات كثيرة في تقسيم تلك الشبكات إما على حسب الاستخدام أو الإتاحة أو نوعية المحتوى المقدم من خلالها، هذا الاختلاف جعلها تصلح لأن تكون أحد أهم أدوات وتقنيات التعلم التكيفي، التي يقررها المتعلم بنفسه كونه هو المسئول عن عملية تعلمه، فالمتعلم هنا من يقرر أي الشبكات يستخدم؛ وفقاً لنمط تعلمه.

* **طبيعة شبكات التواصل الإجتماعي إذا ما طبقت مبدأ التكيف.**

فنجد أن المتعلم اللفظي يفضل شبكات مثل: "فيس بوك وتويتر والمدونات"، والمتعلم البصري يفضل شبكات مثل: "فليكر وإنستجرام"، والمتعلم الحركي يفضل شبكات مثل: "يوتيوب"، والمتعلم السمعي يفضل الشبكات التي تعتمد على التواصل الصوتي مثل: "هانج أوت، وسكاي بى" هكذا يتكيف كل متعلم وفقاً لنمط تعلمه مع شبكة التواصل الإجتماعي التي تناسب أسلوب تعلمه، والتي من خلالها يرضي إهتماماته وحاجاته التعليمية، والعامة، لذا تعتبر تلك الشبكات أحد أهم أدوات وتقنيات التعلم التكيفي، وسوف نجد تغيرات كثيرة في الأيام والسنوات القادمة عليها سوف تجعلها أكثر تكيفية، وأكثر ملائمة لقطاع عريض من الجمهور، للتعبير عن حالاتهم وإهتماماتهم وإرضاء طموحهم وحاجاتهم، حتى لا يضطروا إلى النفور من تلك الشبكة، فالعالم يسير في هذا الجانب نحو التكيف في عرض المعلومات والمحتويات من خلال جميع التقنيات التي من شأنها أن تستخدم مع المتعلمين، حتى نستطيع أن نخرج بنتائج أفضل، ونجعلها أداة تدريسية وتعليمية فعالة ومميزة، نظراً لكونها أكثر الأدوات إجتماعية ووصولاً للجمهور العام من الناس.

فأصبحت الشبكات تتكيف مع عقليات وأنماط وأساليب تعلم المتعلمين، وفقاً لنمط كلاً منهم على حده، فمن يبحث عن محتوى فيديو يذهب مباشرة إلى يوتيوب، ومن يبحث عن محتوى مصور يذهب دون تفكير إلى فليكر وانستجرام، كونها مخازن ضخمة للصور، وهكذا.